عقيدة الشيعة

تأليف

العلامة الكبير الحجة فضيلة المرجع

الحاج ميرزا علي الحائري

ويليه

رسالة في ترجمة حياة العلامة الحكيم الالهي الفيلسوف الشيخ علي نقي نجل الشيخ الاوحد الشيخ احمد الاحسائي

الطبعة الثانية (مضافاً لها ترجمة حياة المؤلف)

عقيدة الشيعة

تأليف

العلامة الكبير الحجة فضيلة المرجع

الحاج ميرزا علي الحائري

ويليه

رسالة في ترجمة حياة العلامة الحكيم الالهي الفيلسوف الشيخ علي نقي نجل الشيخ الاوحد الشيخ احمد الاحسائي

الطبعة الثانية (مضافاً لها ترجمة حياة المؤلف)

alfeker.net

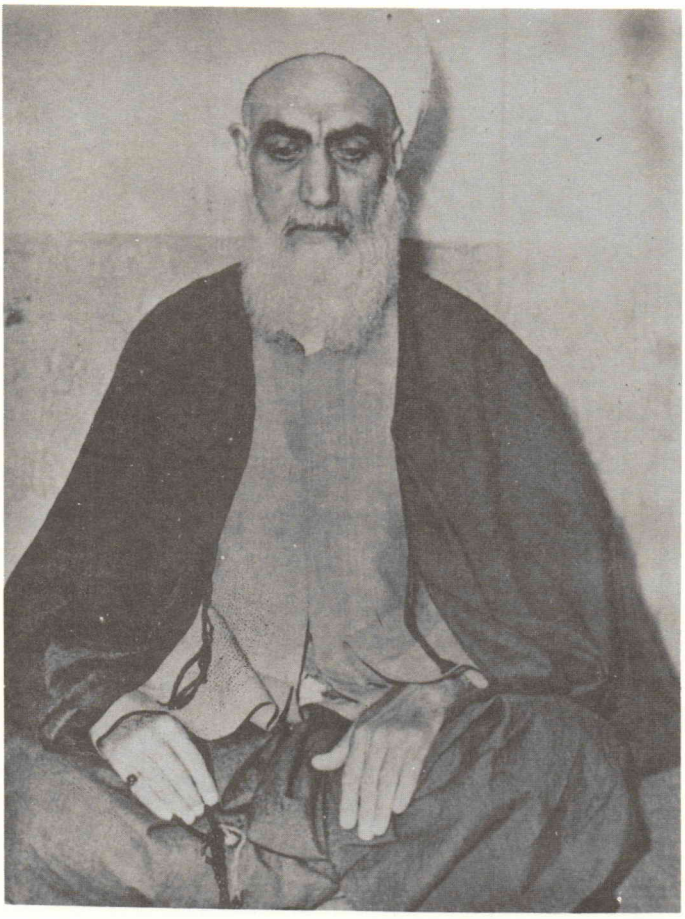

فضيلة المرجع الديني الحاج

ميرزا علي الحائري

قدس سره

المحتويات

١ ـ ترجمة حياة المؤلف رحمه الله .
٢ ـ تعريف بشيوخ المؤلف ومن يروي عنهم .
٣ ـ كتاب « عقيدة الشيعة » .
٤ ـ مقدمة نهج المحجه .
٥ ـ فهرس لكتاب « عقيدة الشيعة » و « مقدمة نهج المحجه » .

ترجمـــة حيـــاة المؤلـــف

(١٣٠٥ - ١٣٨٦ هـ)

الموافـــق

(١٨٨٩ - ١٩٦٧ م)

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(١)

مدخل إلى حياة المؤلف

هو العالم الجليل الحكيم الفقيه المجتهد الحجة الثبت الخطيب الكاتب الذاكر العابد ، أبو جعفر على بن موسى بن محمد باقر الحائري بن محمد سليم الاسكوئي قدس الله أسرارهم . والحائري نسبة الى الحائر اسم من أسماء كربلاء ، والاسكوئي نسبة الى قرية في أذربيجان الايرانية من أعمال تبريز . وكان جده ملا محمد سليم من قرية في أذربيجان أيضاً يقال لها قرجه داغ ، أي الجبل الأسيود ، ولد فيها ونشأ في ربوعها ودرس على شيوخها ، وتزوج هناك سيدة أنجبت له ابنه العلامة الكبير مير زا محمد باقر الحائري جد المؤلف رحمه الله ، وكانت هذه السيده علوية يرتقي نسبها الى الامام زين العابدين علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب . ومن هنا فقد كان يسبق اسم المؤلف واسم أبيه وجده كلمة « مير زا » تعظيماً لهم وإجلالاً لقدرهم باتصال نسبهم من طرف الأم الى الامام زين العابدين ، وهي كلمة فارسية تعني في الاصل « ابن الامير » ثم صارت لقباً لكل من ينتسب من جهة الام الى أهل البيت عليهم السلام ، فان اتصل نسبه اليهم من طرف الأب أو الأبوين فهو حينئذٍ « سيد » .

وكان ملا محمد سليم هذا قد خرج من قريته قرجه داغ مهاجراً يريد النجف الاشرف لتحصيل العلوم الدينية فيها ، وكانت أوسكو تقع في الطريق الى مهاجرة ، فلما مر بها هاله ان يراها ليس فيها عالم يرشد أهلها ويعينهم على معرفة أمور دينهم وشؤون آخرتهم ، وقد تعلق به أهلها أشد التعلق ، فآثر المقام بها عندهم وصارت هجرته اليها بينهم استجابة لامر الله تعالى في وجوب الإرشاد والانذار ، فأقام هو منذ ذلك الحين باوسكو وكيلاً عن العلامة الكبير حجة الاسلام ملا محمد الممقاني الذي كان هلاك محمد على الباب على يديه في تبريز ، ثم أرسل بدلاً عنه أبنه مير زا محمد باقر الى النجف لاستكمال دروسه في الفقه والاصول والحكمة الالهية ، وكان ذلك في حوالي السنة ١٢٥٥ هـ ، وعمره حينذاك قريب من خمس وعشرين سنة

وكان مير زا محمد باقر قد درس السطوح والمتون على خاليه السيد سليمان الاعرجي والسيد محمد الاعرجي في قرجه داغ ، وكانا من أهل الفضل والعلم في أذربيجان . والاعرجي نسبة الى بيت من البيوتات النبوية الحسينية الشريفة ، إشتهر كثير من أفراده بالعلم والفضل فجمعوا بذلك شرف النسب الى كرم الحسب ، وعميدهم في ذلك السيد المرتضى عميد الدين عبد المطلب بن السيد مجد الدين بن أبي الفوارس محمد بن علي بن أعرج الحسيني الحلي العبيدلي استاذ الشهيد الاول شمس الدين محمد بن جمال الدين بن مكي العاملي قدس الله اسرارهم ، والمؤلف رحمه الله تعالى يروي عنه ضمن سلسلة الرواة الذين يروي عنهم في إجازاته التي حصل عليها من شيوخه .

ولد المترجم له قدس الله تربته في النجف الاشرف أيام دراسة والده هناك بعد مضي ساعة ونصف من الليلة السابعة والعشرين من شهر صفر من السنة ١٣٠٥ هـ ، ونشأ وترعرع في كربلاء واستكمل دراسته في النجف ثم انتقل بين عدد من البلدان وقدم الى الكويت لاول مرة حوالي السنة ١٩١٦ م ، وفي الكويت أيضاً لبى نداء ربه في الليلة السابعة والعشرين من رمضان من السنة ١٣٨٦ هـ ، وعلى هذا فانه يكون قد عمر رحمه الله قريباً من ثمانين سنة وخمسة أشهر حسب التقويم القمري وحوالي ثمان وسبعين سنة حسب التقويم الشمسي ، وكانت وفاته حسب التقويم الشمسي مساء اليوم السادس من يناير من السنة ١٩٦٧ م وميلاده في أخريات يناير من السنة ١٨٨٩ م .

ومن الصدف العجيبة أن يكون هناك تشابه بين وفاة المؤلف وميلاده من حيث الزمان والمكان ، فمن حيث الزمان ولد وتوفى في ليلة السبت خلال الثلث الاول من الليل لاربع بقين من شهري الولادة صفر والوفاة رمضان ، وصفر ورمضان كلاهما من شهور العبادة والسمو الروحي ومن مواسم اقامة المآتم الحسينية ، ومن حيث المكان ولد وتوفى في حمى امام فقد ولد في ربوع أمير المؤمنين عليه السلام في النجف وكان احتضاره في الحسينية العباسية بيت من بيوت الامام الحسين عليه السلام ، وبذلك يكون المؤلف رحمه الله قد أهل مولوداً في حمى إمام معصوم وأفل محموداً في كنف إمام معصوم ، وتلك حياة فاتحتها مسك وختامها مسك ، وفي ذلك فليتنافس المنافسون .

(٢)

مرحلة الدراسة الابتدائية والسطوح

كان المؤلف رحمه الله مولوداً محظوظاً عند أبيه أثيراً لديه محبوباً ميموناً مباركاً في نظر والده ، ربما لانه كان باكورة الخلف في اسرته الصغيرة حينذاك ، لكن السبب الاقوى لمالاقاة من أثرة ورعاية هو ماآره فيه أبوه من علامات النبوغ المبكر وما توسم في جبينه من آثار النجابة والاصالة المميزتين . فأنكب والده لذلك على تربيته وتنشئته تربية دينية وتنشئة علمية على غرار ما تلقاه هو من أبيه وما تلقاه أبوه من جده قدس الله تربتهم الزكية . فقد كان من التقليد ان تعنى البيوتات العلمية ذات العادات العريقة بتر بية أولادها وهم لا يزالون في السنوات الاولى من أعمارهم ، وجرياً على هذا التقليد فقد ادخل المؤلف رحمه الله الكتاتيب ومدارس الصغار لتعليم القرآن الكريم وهو لم يكن بعدقد بلغ الخامسة من عمره ، فختم القرآن بأجزائه الثلاثين في مدى خمسة أشهر ، وكان ذلك عند معلمة كانت دارها تقع بجوار دار الاسرة في كربلاء ، ثم قرأ بعض الكتب الفارسية بخطوطها المميزة بالتداخل والتعرج والالتواء والانحناء ، كما درس مبادىء النحو بالكتب الفارسية والكتب العربية ثم أخذ يتوغل فيه من خلال الكتب العربية ، كما درس مبادىء المنطق باللغة العربية كذلك ، وقد قرأ ذلك كله على معلم انتدبه أبوه خاصة لتدريسه في البيت فاتم ذلك جميعه في فترة قياسية . يحدثنا والد المترجم له أعلى الله مقامهما عن هذه الفترة من تعليمه فيقول في إجازته المطولة له « ولما بلغ سنه قريب الخمس سنين جعلته عند المرأة المعلمة التي كانت قرب دارنا لصغره فختم القرآن بحمد الله في ظرفية خمسة أشهر ، ثم عينت له معلماً في الدار فأخذ المعلم في تعليمه بعض الكتب العجمية أولاً ثم بعض كتب الصرف العجمية والعربية ثم النحو من الاجرمية والقطر وابن الناظم ثم المنطق حاشية ملا عبد الله وغيره فكمل بحمد الله في هذه العلوم في أقل مدة » .

ومما يجدر بالملاحظة أن المترجم له كان قد نشىء تنشئه رتيبة صارمة ، كان البيت مأواه وملعبه ومدرسته أيضاً ، ففيما عدا الاشهر الخمسة الاولى من سنوات الدراسة كان كل شيء في حياته يتم تحت نظر والده وبتوجيه منه مباشر ، الكتب كان يختارها له أبوه ومعلمه هو الاخر كان من اختيار أبيه ، ولك ان تتصور ان رفاقه في اللعب كانوا كذلك قلة مختارة من أترابه الصغار . إذن فقد نشأ المؤلف رحمه الله نشأة جادة صارمة صادقة لا غرور فيها ولا نفاق كل شيء فيها منظم دقيق ، ولقد طبعت حياته على هذه الخصال في شبابه وكهولته وشيخوخته ، حتى كان ينام وينهض ويتناول طعامه ويقرأ ويذاكر ويجالس الاصحاب والاقران ويؤدي الفرائض والنوافل وسائر الانشطة في مواعيد محددة بل ثابتة تقريباً . ولقد صاحبته كهلاً مثل ظله مدة خمس سنوات وسافرت معه فما رأيته يخرم موعداً من هذه المواعيد ولا يتخلف عن وقت من تلك المواقيت إلا في القليل النادر مما لا يكون له فيه يد ولا يملك له عنه خياراً .

وعلى ما تقدم ، فقد أتم المؤلف المرحلة الاولى من حياته التعليمية بنجاح منقطع النظير ، فباشراف مباشر من أبيه ، تعلم القراءة والكتابة ، وأجاد التحدث باللغات العربية والفارسية والتركية التي كانت لغة الاسرة في البيت ، ودرس مبادىء النحو والصرف والمنطق ، وتسلح بالاخلاق الفاضلة ، وقد تم له كل ذلك وهو من أبناء العشر سنوات على ما تشير اليه الدلائل والقرائن التي أمكن الحصول عليها في هذا الشأن . ثم جاءت المرحلة الثانية من حياته التعليمية ، مرحلة قراءة السطوح والمتون وتدبر الهوامش والشروح المدونة عليها ، فقرأ المؤلف رحمه الله في هذه المرحلة التي استغرقت العقد الثاني من عمره الشريف على والده ، فكان له المعلم القدير واكرم بهما معلماً وتلميذاً ، قرأ عليه في النحو كتاب « المغني اللبيب عن كتب الاعاريب » لمؤلفه محمد بن عبد الله بن يوسف بن هشام وقرأ عليه في المعاني والبيان والبديع كتاب « المطول » لمؤلفه سعد الدين مسعود بن عمر بن عبد الله التفتازاني في شرح كتاب « المختصر » لمؤلفه عبد القادر الجرجاني وقرأ في المنطق كتاب « الشمسية » لمؤلفه عمر بن مفضل الابهري الزنجاني ، وهو من الكتب المتقدمة في علم المنطق ، وقرأ عليه في الاصول كتاب « معالم الدين في الاصول » لمؤلفه الحسن بن الشهيد الثاني زين الدين الجبعي العاملي وكتاب « قوانين الاصول » لمؤلفه المحقق مير زا أبي القاسم القمي وكتاب « الرسائل في فرائد الاصول » لمؤلفه العلامة الشيخ مرتضى

الانصاري التستري ، وقرأ عليه في الفقه كتاب « شرائع الاحكام » للمحقق الحلي وكتاب « الروضة البهية في شرح اللمعة الدمشقية » لمؤلفيها الشهيدين السعيدين محمد بن جمال الدين مكي العاملي وزين الدين الجبعي العاملي المعروفين بالشهيد الاول والشهيد الثاني على التوالي وكتاب « المكاسب » للشيخ مرتضى الانصاري التستري وكتاب « رياض المسائل في تحقيق الاحكام بالدلائل » للسيد علي بن السيد محمد علي بن أبي المعالي ، وقرأ عليه في الحكمة الالهية والفلسفة كتاب « شرح الفوائد » لمؤلفه الشيخ أحمد الاحسائي وكتابي « شرح المشاعر » و« شرح العرشية » لمؤلفيها الشيخ ملا صدر الدين الشيرازي والشيخ أحمد الاحسائي . هذا بالاضافة الى ما قرأ عليه من كتب الرجال والحديث والتفسير وما تدبر هو بنفسه من الشروح والهوامش المدونة على المتون والسطوح سالفة الذكر . يقول أبوه وأستاذه عن هذه المرحلة من دراسته في إجازته المفصلة له « ثم حضر عندي في قراءة المطول ومعالم الاصول والروضة البهية والقوانين والرسائل وشرح الفوائد وغيرها . . » وقد تم للمؤلف كل ذلك وهو من أبناء العشرين سنة ، وهذا نجاح آخر يقل نظيره ويندر وقوعه .

واذا كان العقد الاول من عمر المؤلف يعد بحق مرحلة بناء شخصيته الاخلاقية التربوية مطبوعة على الصبر والاخلاص والتواضع وتوقير الكبار واحترام العلماء ، فان العقد الثاني من عمره يعتبر بصدق مرحلة اكتمال شخصيته العلمية وبروز مواهبه في البحث العلمي والتنقيب عن أوجه الخلاف واحتمالات الخطأ والصواب في المسألة . فلقد درس المترجم له في هذه المرحلة عشرات الكتب وهضم كثيراً من الهوامش والشروح وتفنن في رسم الخطوط العربية والفارسية ووجه جزءاً من اهتمامه الى نوع من العلوم النادرة كعلم الحروف والاوفاق والطلاسم وغيرها مما كان معروفاً في عصره ، كما صرف جانباً من نشاطه الى العبادات وقراءة الاوراد والادعية وممارسة الرياضات الشرعية التي تنمي فيه السمو الروحي وتعينه على التأمل في الآفاق والانفس . وقد نسخ المترجم له في هذه المرحلة عدداً من الكتب النادرة وفتح له كشكولاً سجل فيه فوائد نادرة يعز العثور عليها عند الطلب لتفرقها مبعثرة في بطون الكتب . ولقد أعانته هذه الكتابات على تحسين خطه وأضفت عليه جمالاً يأخذ بالالباب . ومن الجدير بالذكر أنه رحمه الله أهمل العناية بالخط بعد ذلك حتى فقد خطه في كهولته وشيخوخته ما كان له في شبابه من جاذبية وجمال ، إذ من المعلوم ان الفنون المكتسبة تفقد بريقها كلما بعد الزمن مالم تقترن بدوام المزاولة واستمرار الممارسة ،

ومع ذلك فقد ظل خطه رحمه الله جميلاً واضحاً مميزاً عن غيره من الخطوط حتى آخر عمره .

وبعد ذلك يحق للمرء ان يتساءل متى بلغ المترجم له درجة الاجتهاد ؟ هناك قرائن تشير الى انه ربما اجتهد بنهاية العقد الثاني من عمره بعد دراسة كتب السطوح ، فنبوغه الفكري المبكر والتهامه ذلك الكم الكبير من المعارف واشراف والده المباشر على اختيار دروسه ومدرسيه تعد من القرائن المؤيدة لاجتهاده المبكر . ومن هذه القرائن ما جآء في حديث المؤلف عن نفسه في آواخر كتابه هذا الذي بين يدي القارىء ، إذ يقول فيه « وقد قرأت جميع السطوح والمتون على والدي روحي فداه من النحو والصرف والمنطق والمعاني والبيان والاصول والفقه الى نهايات الكتب والحكمة الالهية ، شرح الفوائد وشرح العرشيه والمشاعر ، والتقطت من ثمار تحقيقاته ما ارتويت ، فعبارة « ما ارتويت » إشارة يفهم منها أهل الفن بلوغ الاجتهاد أو المشارفة عليه ، فالارتواء اكتفآء بما عنده عن غيره ، وهو عند الفقهآء تعبير متواضع عن الاجتهاد . غير انه من المرجح انه لم يكن قد أجيز إجازة مكتوبة في هذه المرحلة من تعليمه ، خلافاً لما ورد في حديث المؤلف عن نفسه الموهم بأنه أجيز من والده وهو ابن عشرين سنة ، فقد قال مباشرة بعد تلك العبارة المنقولة سابقاً فأجازني « أي والده » اجازة مفصلة رواية ودرأية واعطاني وكالة مطلقة عامة في النيابة عنه ثم انتقلت الى النجف في سنة أربع وعشرين بعد الالف والثلاثمائة وأنا إذذاك ابن عشرين سنة » فهذا القول لا يستقيم مع تاريخ الاجازة المذكورة ، اذ انها مؤرخة غرة جمادى الثانية سنة ١٣٣٥ هـ ، فيكون عمر المؤلف إذذاك أكثر من تسع وعشرين سنة ، ولا يستقيم مع ماورد في الاجازة من نصوص ، فقد جاء فيها ما يفيد بان المترجم له ما استجاز والده الا بعد عودته من النجف ، وهو حينئذ ابن ثمان وعشرين سنة ، وكان قد أجازه قبل ذلك بعض شيخوخه الذين قرأ عليهم في النجف . وعلى ذلك فلا مناص من القول بأن هناك خطأ من الناسخ غير متعمد ، فربما كان المؤلف قد قال « وأجازني » فحرفه الناسخ الى « فأجازني » وربما قال المؤلف « وانتقلت » فكتبه الناسخ « ثم انتقلت » فاختلف المعنى ، وذلك لان الواو حرف عطف تدل على مطلق العطف والفاء تدل على التعاقب من غير تراخ و« ثم » تدل على التعاقب المتراخي فاذا استخدم حرف عطف مكان حرف اختل المعنى وقصر اللفظ عن المراد .

(٣)

مرحلة دروس الخارج في النجف

وأياما كان الامر في تاريخ اجتهاده ، فقد قرر المؤلف هو وأبوه ان ينتقل الى النجف الاشرف لاستكمال دراسته في الفقه والاصول والفلسفة الجدلية وهو على اعتاب العقد الثالث من عمره ، وكانت للحلقات الدراسية النجفية شهرة واسعة ومنزلة مرموقة بين مراكز التعليم الديني ، وكان يتولى ادارة هذه الحلقات شيوخ عظام هم أساطين زمانهم في الفقة والاصول والفلسفة ، مثل ملا فتح الله الملقب بالشيخ شريعة الإصفهاني والاخوند ملا كاظم الخراساني مؤلف كتاب « كفاية الاصول » الذي كان ومايزال آخر كتب السطوح في علم الاصول والسيد مصطفى الكاشاني والاخوند ملا محمد الخونساري قدس الله اسرارهم جميعاً ، فقرأ المؤلف على هؤلاء في الفقة والاصول كما قرأ على الشيخ محمد حسن الطوسي نور الله مرقده في منظومة السبزواري لمؤلفه ملا هادي السبزواري ، وهو كتاب متقدم في الفلسفة الجدلية ، فحضر عندهم وعند غيرهم من أفاضل علماء النجف مدة تقرب من ثماني سنين . يقول والد المؤلف في اجازته المفصلة له مؤرخاً هذه الفترة من حياة المؤلف الدراسية « ولما بلغ العشرين من السنين وصار قابلاً للتغرب عن وطنه والمفارقة من أهله أرسلته الى النجف الاشرف ، فهاجر اليها بتمام الشوق والرغبة حرصاً منه لتكميل مراتبه وقرأ على جملة من العلماء العظام والفضلاء الفخام وتلمذ عندهم ، من جملتهم عميدهم الفاضل النحرير الصمداني ملا كاظم الخراساني والعالم الكامل المهذب ملا فتح الله الملقب بالشريعة الاصفهاني والعالم النبيل والسيد الجليل السيد مصطفى الكاشاني وحضر عندهم وعند غيرهم في الحكمة وغيرها برهة من الزمان قريباً من ثمان سنين حتى استفاد من تحقيقاتهم الراقية وتدقيقاتهم الرشيقة علماً جماً واجازه بعضهم لما رأوه أهلاً لذلك » .

وقد تمثلت دراسته في النجف ـ باستثناء منظومة السبزواري ـ فيما يسمى بدروس الخارج ، وهي حلقات دراسية متقدمة يعاد من خلالها دارسة الفقة والاصول بجميع أبوابهما وتتم مناقشتها بعمق وتوسع ، يذكر ما قبل فيها من أقوال وما سيق في شأنها من أدلة

والـرأي الـذي يرجحـه الشيـخ المحـاضـر ، وكثيرا ما يشارك الطلاب أستاذهم في المناقشة وابـداء الـرأي ، بل قد يطلب الاستـاذ ذلـك منهم على وجـه الخصوص . وهذه الدروس توجب على الطـالب التحضـير لها قبـل المحـاضـرة بمراجعة المصادر ومذاكرة ما قيل فيها ويتوجب عليه بعدها ان يكتب ملخص ما دار فيها من نقاش وما يراه هو من الحكم المدعوم بالادلة التفصيلية في المسألة المطروحة للبحث ، فدروس الخارج تفيد الطالب من جهتين ، فهي من جهـة توسـع مداركـه في الفقه والاصول ، وهي من جهة اخرى تعينه على توسيع وتعميق ملكاته في استنباط الاحكام الشرعية من أدلتها التفصيلية ، وهو الاجتهاد المقصود عند الفقهاء .

وعليـه فلابـد أن يكون المؤلف رحمه الله أفاد من دروس الخارج علماً جما في الاصول والفقة لما كان يتمع به من أرضية صلبة في هذه العلوم أفادها من دراسته السابقة في السطوح على والـده رحمـه الله ، ولمـا هيأت له مكتبات النجف من فرصة الاطلاع على ما فيها من كتب قيمـة في الفقـة والاصـول والفلسفـة وغـيرهـا ، ولا بد أن يكـون قد أفاد من دروس الخـارج في تهذيب فن الكتـابة لديه وامتلاك ناحية التعبير العلمي الدقيق ، هذا بالاضافة الى ما اقتبس من شيـوخـه العظـام من خلق عظيم ودين قويم وسلوك مستقيم . يتحـدث المـترجم له عن نفسـه متـذكـراً أيام التلمذة في النجف ، فيقول في آخريات كتابه « عقيدة الشيعة » ثم انتقلت الى النجف في سنة اربع وعشرين بعد الالف والثلاثمائة وأنا إذذاك إبن عشرين سنة ، وحضرت بحث شيخ الفقهآء الاعلام الشيخ شريعة الاصبهاني قدس سره في الاصـول والفقـه وأبـرزت تقـريـراتـه في صفحات الطروس وأجازني رحمه الله تعالى . وحضـرت بحث رئيس العلماء المجتهـدين المـولى الاخوند ملا محمد كاظم الخراساني قدس الله نفسـه في الاصـول على خارج الكفـايـة وفي الفقـه على خارج كتـاب الـرهن وكتاب الطهارة للشيخ مرتضى الانصاري ، وحضرت بحث سيد العلماء والاساطين المولى السيد مصطفى القـاسـاني نور الله مرقـده في الفقـه وأجـازني أجـازة مفصلة ، وحضـرت بحث الفـاضـل العـلام المجتهـد القمقام المولى الاخوند ملا محمد علي الخونساري قدس سره ، وحضرت عند عمدة العلماء الاعلام الشيخ المؤتمن المولى الحاج شيخ محمد حسن الطوسي أطال الله بقاه ولي منه إجازة مفصلة دراية ورواية ، وحضرت عند غيرهم من بعض فضلاً النجف ثم قال بعـد قليـل « هؤلاء أسـاتذتي العظام ومشايخي الكرام الذين تلمذت على أيـديهم والتقطت ثمار تحقيقـاتهم وجنيت فوائـد أفـاداتهم وبلغت ما بلغت من ألطـافهم

وبركاتهم ، وهم أطواد أعلام وفطاحلة عظام لم يكن لهم في عصرهم نظير ولم يدر سور الدهر لهم من بديل خطير » .

وهكذا انهى المؤلف رحمه الله هذه المرحلة من حياته الدراسية بنجاح كما في المراحل السابقة ، وزوده شيوخه وأساتذته في هذه المرحلة باجازات مكتوبة وغير مكتوبة دراية ورواية ، أقدمها اجازة استاذه السيد مصطفى الحسيني الكاشاني المؤرخة سنة ١٣٣١ هـ . وقد حصل عليها وهو حينذاك من أبناء الخمس والعشرين سنة ، وهذا وقت قياسي للحصول على اجازة الاجتهاد يبعث على الدهشة . ولقد كان المترجم له مصدر اعجاب رفاقه من الطلبة وموضع احترام شيوخه ، فقد امتدحوه في اجازاتهم له وأشادوا بعلمه ودقة بحوثه وسلامة استنتاجاته ، علاوة على تقريضهم اياه في تقواه و انقطاعه الى العبادة وزهده في الدنيا واجتنابه ملذات الحياة . فهذا شيخه السيد مصطفى الحسيني الكاشاني يتحدث عنه في اجازته اياه المذكورة سابقاً ، فيقول عنه « وممن تسنم قدس هذه المنزلة الرفيعة وصعد معارجها المنيعة وطلب هذه الفضائل والمعالي حتى وصل يقظة الايام بسهر الليالي جناب العالم العامل والفاضل الكامل الحسيب النسيب والاريب الاديب ذو الفكر الوقاد والفهم النقاد فخر العلماء العظام عمدة الافاضل الفخام ذو القريحة السليمة والطريقة المستقيمة والمحتد الرفيع والاصل المنيع الاقامير زا على وفقه الله لمراضيه وجعل مستقبل أمره خيراً من ماضيه . . . » .

ولقد أفاض شيخه وأستاذه الاخوند ملا محمد علي الخونساري قدس سره في تقريض المؤلف في علمه وحلمه وتقواه وأدبه وخلقه وسمو فكره وعلو همته وفائق قدرته في تأسيس الاصول وترتيب الفروع . ومما جاء في اجازته اياه المؤرخة في السادس عشر من جمادي الاخرة سنة ١٣٣٢ هـ قوله « ثم عرض (المترجم له) علينا بعض مصنفاته الشريفة فسرحنا نظرنا فيه ، ولعمري قد جاد وأجاد وجآء بما فوق المراد فلا غرو مما فيه فكل إناء ينضح بما فيه . ولله دره ما أطول في تأسيس الاصل باعه وأمتن في ترتيب الفروع ذراعه ، مضافاً الى اني تكلمت معه في مطالب عظيمة ومسائل غامضة فبان لي بحمد الله تعالى ومنه أنه ذو نظر دقيق وفهم صائب رشيق وطبع قويم وذهن مستقيم ووجدته بحراً مواجاً ونوراً لم أر فيه أعوجاجاً جامعاً درر المعارف القدسية حائزاً الجواهر الملكوتية . فلا جرم من كان هذا شأنه فحري بالنيابة عن الامام والقيام بوظائف الاحكام والقضايا وفصل الخطاب والامر بالمعروف والنهي عن المنكر واصلاح ذات البين ورعاية الانام وولاية الغيب

والايتـام ، وهـوولي من لا ولى له ومـرجـع كل من يرجـع فيـه الى المجتهـد المطلق الجامع لشرائط القضاء والامضاء والنظر في أمور المسلمين والتصرف في أموالهم ونفوسهم بالحق . فهـو بعـد ان أذنتـه مقبـول القـول والعمل ويلزم على كافة العباد بعد أن اختاره الله حاكماً بينهم ودليـلاً على ارشـادهم إنفـاذ حكمـه وامتثـال أمـره والاهتـداء بنوره وعلى المشتغلين والمحصلين إستفادة العلوم من عنده . . » الى آخر ما قاله في حق المؤلف من ذكر فضائله وبيان فواضله وتزكية أفعاله وأقواله قدس الله سر المادح والممدوح ونور مرقدهما انه سميع مجيب .

أمـا العـلامـة الكبـير الشيخ فضل الله الخوئي النجفي ، فقد وصف المترجم له في اجازته اياه المحررة في ربيع الثاني من سنة ١٣٤٥ هـ بأنه « علامة وقته وزمانه وفهامة عصره وأوانـه ذو الفطنـة الوقادة والقريحة النقادة التقى النقي والمهذب الصفي . . » ثم دعا المجيز للمجاز وطلب من الله « أن يلهمه طريق الرشاد وسبيل الصواب والسداد فانه أهل لذلك والحقيق بما هنـالـك وان يجعله علماً لعبـاده ومنـاراً في بلاده ومـرجعـاً للانام وملاذاً للخاص والعام ومن قوام الشريعة وكفلاء أيتام الشيعة لانه ممن يعتمد على ورعه وتقواه وفهمه وذكاه وبذل جده وجهده في سبيل الله سبحانه . . » .

ولعـل أبلغ ما قيـل في حق المـترجم له مما صدر من شيـوخـه تقريضاً له وتنويهاً بقدره واعـلاءاً لشأنـه ما جآء في اجـازة والـده اياه المؤرخة في الاول من جمادي الاخرى من السنة ١٣٣٥ هـ . وذلـك بعـد رجـوعـه من زيـارة الامـام الرضا عليه السلام ، فقد قال في هذه الاجـازة المفصلة « لما رأيتـه وفقـه الله لكـل خير وجنبـه من كل سوء ومكروه وقربه عيني في حيـاتي ومـماتي وبلغـه مناه في دنياه وعقباه وطال في عمره وبقاه بحق محمد وآله آل الله قابلاً لتحمل الانوار الساطعة عن الائمة الاطهار وأهلاً لنقل الاثار وضبطها وايداعها في أصناف الكلمات العـاليـات والعبـارات الوافيات الكافيات وتأديته الى أهلها تلك الامانات والدرر الفـاخـرات والـلآلىء الزاهرات ومستخرجاً لجواهر العلوم من كنوزها والمسائل المشكلة من مداركها و مستنتجاً غوامض المعاني بفهمه الوقاد ورموزها واشاراتها بذهنه النقاد حيث بلغ مبلغ الرجال وشرب صافي العلوم الزلال وتمكن من نيل ما يريد من احكام الحرام والحلال اجزت له جعلني الله فداه ومن كل مكروه وقاه أن . . » .

وحيث بلغ بنا الكلام الى هذا المقام فانه من المناسب ان نذكر أسماء من يروي عنهم المؤلف رحمه الله تيمناً بذكرهم ولما في ذلك من فائدة لا تخفى على القارىء .

لاتخفي على القارىء . فطبقا لاجازة والده له فان المؤلف رحمه الله يروي * عن والده عن الشيخ عبد الله بن معتوق الخطي الحائري عن الشيخ محمد بن عبد الله بن علي بن احمد بن عيثان عن جملة من مشايخه منهم مير زا محمد باقر بن الشيخ محمد سليم الاسكوئي الحائري عن جملة من مشايخه منهم مير زا حسن بن علي الشهير بكوهر القراجه داغي الاسكوئي عن جملة من مشايخه منهم السيد كاظم بن السيد قاسم الحسيني الرشتي عن جملة من مشايخه منهم الشيخ احمد بن زين الدين الاحسائي عن جملة من مشايخه منهم الشيخ جعفر النجفي عن الشيخ محمد باقر البهبهاني المعروف بالوحيد البهبهاني عن والده الشيخ محمد باقر البهبهاني عن مولانا محمد باقر المجلسي « مؤلف كتاب البحار » عن والده الشيخ محمد الحارثي المعروف بالشيخ البهائي عن والده الشيخ حسين بن عبد الصمد العاملي الحارثي عن شيخه زين الدين علي بن احمد الشهير بالشهيد الثاني عن الشيخ نور الدين علي بن عبد العال الميسي عن الشيخ شمس الدين محمد بن محمد بن داود المعروف بابن المؤذن الجزيني عن الشيخ على ضياء الدين بن الشيخ محمد بن مكي عن والده الشيخ شمس الدين محمد بن مكي العاملي المعروف بالشهيد الاول عن جملة من مشايخه منهم السيد المرتضى عميد الدين عبد المطلب بن أبى الفوارس بن محمد علي بن أعرج الحسيني العبيدلي الحلي و فخر الدين ابي طالب الشيخ محمد بن الحسن بن يوسف عن الشيخ نجيب الدين يحيى بن محمد بن يحيى بن الفرج السوراوي عن الشيخ هبة الله بن رطبة عن الشيخ أبي علي الحسن عن أبيه عن الشيخ أبي جعفر الطوسي عن جماعة منهم الشيخ سلار بن عبد العزيز الديلمي والشيخ أبو عبد الله الحسين بن عبد الله الغضائري والشيخ هارون بن موسى بن أحمد بن سعيد أبو محمد التلعكبري والسيد المرتضى علم الهدى علي وأخوه السيد رضي الدين ابنا الحسين الموسوي عن الشيخ محمد بن عمر بن عبد العزيز بن ابي عمر الكشي والشيخ السعيد ابي عبد الله محمد بن النعمان الملقب بالمفيد عن الشيخ الصدوق ابي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي عن أبيه علي بن الحسين بابويه وجعفر بن محمد بن قولويه عن الشيخ الامام رئيس المحدثين ثقة الاسلام محمد بن يعقوب الكليني « قدس الله أسرارهم جميعاً » بأسانيده المذكورة في الكافي متصلة بارباب العصمة والطهارة سلام الله

---

* للتعرف على تراجم حياة الرواة راجع ما هو مدون في آخر ترجمة حياة المؤلف تحت عنوان « تعريف بشيوخ المؤلف و ممن يروي عنهم » بقلم كمال الدين ميرزا علي الحائري .

عليهم أجمعين . هذه أسماء من يروي عنهم المؤلف ذكرتها مختصرة جداً .

ومن الملاحظ ان المترجم له عني بالعلوم الدينية والمعارف الشرعية عناية فائقة بلغ بها شأواً بعيداً في العلم والعرفان الا انه وقف عندها ولم يتجاوزها الى غيرها ، فلم يحفل بالعلوم الحديثة ولم يبذل في الحصول عليها جهداً مرموقاً ، ولم يطلع عليها إلا في القليل النادر وعند مسيس الحاجة اليها ، ومع ذلك فلم يكن من المتعصبين ضد هذه المعارف ولا من المنكرين عليها أو على أهلها ، بل كان يقبلها في كثير من الاحيان ولا يجادل في بطلانها كدأب غيره من أقرانه . قال في معرض جوابه على سؤال أحدهم « إنا لانكذب هؤلاء المتجددين في اكتشافاتهم وبعض مقالاتهم المبنية عليها ولا ننكر ذلك منهم لدعواهم الحس والوجدان شهوداً بالالآت الكشفية . . . » بل ربما نقل في كتاباته مسائل من المكتشفات الحديثة مستشهداً بها ، فربما أصاب في النقل وربما أخطا فيه . فقد ذكر مثلاً وظائف الدم في جسم الانسان وما فيه من كريات حمراء وبيضاء فكان دقيقاً فيه مصيباً مجيداً . ونقل في مكان آخر من رسائله ما ذكروه من دوران الارض حول الشمس فزعم انهم يوعزون الى هذه الدورة ما يحدث على الارض من تعاقب الليل والنهار ، فلم يوافقهم فيه ولا انكره عليهم ، بل جعله احتمالاً مقابل الاحتمال الاخر من دوران الشمس حول الارض . وقد عايش رحمه الله اطلاق الاقمار الصناعية الى الفضاء ، فكان يستبعد حدوث ذلك بادىء ذي بدء إعتماداً على أقوال الفلاسفة الاقدمين بوجود كرة النار تحت فلك القمر ، فاذا اقتربت الاجسام منها احترقت قبل ان يتسنى لها اختراقها الى الفضاء الخارجي ، ولكن عندما تناقلت الاخبار نجاح اطلاق اول قمر صناعي قبل الفكرة وأذعن لها ولم يشكك في وقوعها ولم ينسب ذلك ، كدأب غيره ، الى الدجل الغربي واعلامه المغرض . وفي الوقت الذي كان كثير من فقهاء عصره يرى التعليم في المدارس النظامية الحديثة حراماً من الكبائر ، كان هو رحمه الله يقول بان العلم في أي مجال كان فهو نور وهدى وسعادة ومنشأ كل خير ، الا انه كان يشترط في معلم الصغار ان يكون متخلقاً بالأخلاق الفاضلة ملتزماً بمبادىء الدين إشفاقاً على الطفل من الانجراف الى غير ما يريده له أبواه . ففي اجابته على سؤال احدهم « ما المانع من دخول الفتيان المدرسة ؟ » قال رحمه الله « لا يستريب ذو مسكة في منافع العلم ومضرات الجهل وان العلم حياة والجهل موت وان العلم سعادة ومنشأ كل خير والجهل خلافه واصل كل شر ، ونحن مأمورون بكسب العلم من المهد الى

اللحد » ثم ذكر بعد قليل شرطه في صلاح معلم الفتيان والفتيات ، فقال مفسراً قوله تعالى ثم لتسألن يومئذ عن النعيم « أي عمن تأخذ العلم ، فان كان المعلم صالحاً صلح المتعلم وان كان طللحـاً فسـد المتعلم وطلح » . وهـذا في الفتيـان ، وأما في الفتيات فالامر أعظم والقيد أكثر والخطر أكبر » .

(٤)

إنشغاله بتبعات الحياة والمرجعية والأسفار

كان المؤلف رحمه الله منقطعاً الى الدراسة الى ان بلغ عمره قريباً من ثمان وعشرين سنة . ولقد كان ، وهو في هذه السن ، متزوجاً للمرة الثانية وبعد ان توفيت زوجته الاولى في حادث مؤسف ، فقد سقطت من شاهق ، وكان قد رزق في هذه الفترة ولدين توفى أحدهما في مرض وبائي أتى على كثير من الخلق ، ومع ذلك فلم يكن أيام التلمذة منشغلاً باكتساب العيش اذ كان والده رحمه الله يوفر له كل أسباب العيش له ولزوجته وولديه الصغيرين ، وكان هو متفرغاً الى العلم منقطعاً الى حياة التحصيل والتلمذة ، بيد ان الامور اخذت تتغير تدريجياً منذ عام ١٣٣٥ هـ ، ولم تعد الرياح تجري باتجاه شراع تحصيل العلوم واجراء البحوث والتوسع في المعرفة ، فقفل راجعاً الى كربلاء لامر البيت والعيال ، ولقد كان والده يريد السفر حينذاك في زيارة لمرقد الامام الرضا عليه السلام ، فكان على المؤلف ، وهو أكبر أولا دأبيه ان يهتم ليس فقط بأمر أسرته الصغيرة ، بل كان مطلوباً منه أيضاً ان يشارك أباه في الاهتمام بأمر الاسرة الكبيرة ، وكانت تتألف في ذلك الوقت من بضعة عشر فرداً ، هم أخوته من الاشقاء وغيرهم واسر من تزوج منهم . فلم يعد العلم منذ الان همه الوحيد في الحياة ، وكان الاهتمام بأمر البيت والعيال أول الشواغل التي قيدت المؤلف عن مواصلة السير في ركاب ما أحبه من التعليم والبحث والتأليف .

وقد اضطر المؤلف الى السفر والتنقل بين البلدان المختلفة ، فكان هذا هو الشاغل الآخر الذي انصرف به عن حياة التدريس والتصنيف . لقد صادف في هذه الفترة ان نضب معين العلماء الذين على رأيه في فضل أهل البيت ، وقد تضاءلت همم القلة الموجودة منهم عن النهوض بواجب الدعوة الى مراتبهم عليهم السلام ، فخاف على البقية الباقية من جماعته ان تضيع وسط الزحام ، فشمر عن ساعديه للانذار الذي أمر الله به العلماء في قوله « فلولا نفر من كل فرقة طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون » ، من أجل ذلك ألف المترجم له حياة السفر ، فتنقل بادىء الامر بين سوق الشيوخ والبصرة والكويت والبحرين والاحساء وتبريز ومشهد وغيرها من البلاد ثم صار

يتنقل بين الكويت والاحساء وكربلاء ثم بين الكويت وكربلاء حتى توفاه الله . فكان اضطراره الى السفر والتنقل بين البلدان العقبة الاخرى في مسيرة البحث والتأليف والتدريس التي أحبها واخلص لها النية في شبابه ، وتمنى ان يكرس سائر حياته لها .

ولما توفي والده في الخامس من رمضان من سنة ١٣٦٤ هـ . صار المؤلف مرجعاً للتقليد خلفاً لابيه ، وقلده كثيرمن الناس في سوق الشيوخ والبصرة والكويت والبحرين والاحساء وأذربيجان ومشهد وغيرها من البلاد ، فكانت هذه المرجعية وما لها من تبعات كثيرة شاغلاً آخر له عن التدريس والتصنيف . وهكذا وجد المؤلف نفسه يبتعد قليلاً قليلاً عن الحياة التي أحبها وصرف ربيع عمره من أجلها ، حياة البحث والتدريس والتأليف . ولقد ظل رحمه الله يمني النفس بان تتهيأ له الفرصة يوماً للاستقرار الطويل حتى يتمكن من تأليف كتاب في التفسير يعنى بتفسير الباطن وبيان التأويل . ولم يكن يكفي لانجاز هذا المشروع ما نعم به من فترات استقرار نسبية في شيخوخته عندما كان يتنقل بين كربلاء والكويت .

(٥)

تصنيفاتــه المنشــورة

وعلى الرغم من الشواغل التي سلف ذكرها ، فقد استطاع المترجم له ان يصنف في فترة ما بعد التملذة عدداً من الكتب قليلة لكنها قيمة تكفي للدلالة على سعة تفكيره وطول باعه في علوم الفقهه والاصول والحكمة الالهية ، وقد ظهرت قدرته بصفة خاصة وبرز علو كعبه في ماعالج من مسائل الحكمة والفلسفة الالهية ، حتى أنه رحمه الله صار يعتبر البقية الباقية من علماء مدرسة الشيخ احمد الاحسائي في الحكمة وفهم الاثار الواردة في فضل اهل البيت عليهم السلام .

وكان أول ما نشر للمؤلف رحمه الله رسالة قيمة في ترجمة الشيخ على نقي بن الشيخ احمد الاحسائي ، حررها كما يقول « بتمام العجلة في شهر المحرم من سنة الالف والثلاثمائة والسبع والستين » من الهجرة وكان عمره إذذاك قريباً من اثنتين وستين سنة . وقد طبعت هذه الرسالة في الاصل كمقدمة لكتاب « نهج المحجة » لمؤلفه العلامة الشيخ على نقي في سنة ١٣٧٠ هجرية وتوافق سنة ١٩٥٠ ميلادية ، ثم أعيد طبعها في ذيل كتاب « عقيدة الشيعة » ويجدها القارىء في النسخة التي بين يديه من هذا الكتاب . وتتناول الرسالة بالاضافة الى ترجمة حياة الشيخ علي نقي نقداً موضوعياً للسيد محسن الامين العاملي رحمه الله لاخطاء فادحة تاريخية وقع فيها وعقائدية نسبها الى الشيخ احمد الاحسائي ومن يرى رأيه من تلاميذه عندما ترجم لهم في كتابه « أعيان الشيعة » . وقد حقق المؤلف في هذه الرسالة معنى الغلو لغة وشرعاً وأماط اللثام عن الغلو المحظور في حق المعصومين عليهم السلام . ثم أنهى الرسالة بنصيحة طالب فيها ان يصار الى التوفيق أولا بين الفرقة الواحدة من جماعات الشيعة الامامية ، لان اختلاف مدارسهم ومناهجهم في معالجة القضايا الشرعية والفقهية والعقائدية لا يوجب اعتبارهم فرقاً متناحرة ولا يخرجهم ذلك عن كونهم فرقة واحدة من فرق المسلمين ، فالإتفاق بينهم أولى وأسبق والتفاهم فيهم أحرى وأليق .

إن كتاب « عقيدة الشيعة » هو ثاني مؤلف خرج للمترجم له ونشر بعد تاريخ نشر مقدمة « نهج المحجة » ، وقد طبعت الطبعة الاولى منه في حوالي سنة ١٩٥٥ م ، وطبعت

الطبعة الثانية في سنة ١٩٦٤ م ، وتوافق سنة ١٣٨٤ هجرية . وهذه النسخة التي بين يدي القارىء هي الطبعة الثالثة منه . ويتضمن هذا الكتاب بيان عقيدة الشيعة الامامية في أصول العقائد الخمسة ، التوحيد والعدل والنبوة والامامة والمعاد . وقد راعى المؤلف في هذا الكتاب تبسيط الاسلوب في عرض الافكار ، واقتصر فيه علي اهم الحجج الواردة في مجال الاستدلال على أصول الدين ، وابتعد عما أثير حولها من جدل فلسفي وما قيل بشأنها من نقض وابرام ، وذلك لتعميم الافادة منها وتوسيع الانتفاع بها . ويظهر من مقدمة الكتاب وخاتمته ان المترجم له قد ألف هذا الكتاب ليرد به ما كان قد ألصق به وبأصحابه من تهم باطلة تخرجهم من عقائد الامامية المتصلة بأصول الدين ، فقد قال في مقدمة الكتاب « ان هذه نبذة يسيرة في أصول الدين والاعتقاد مما أتى به سيد المرسلين وخلفاؤه الطاهرون المعصومون ، أعتقده وأدين به وأحشر عليه ان شاءالله تعالى **يوم لا ينفع مالٌ ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم** . حررتها على سبيل الايجاز لا التطويل والاختصار لا التفصيل إلى أن قال « ليتميز الماء من السراب والتبر من التراب لإتمام المحجة وإكمال الحجة ليهلك من هلك عن بينة ويحي من حي عن بينة » . وفي خاتمة الكتاب قال المؤلف بعد ان عدد شيوخه ومجيزيه من الفقهاء وغيرهم « هؤلاء أساتذتي العظام ومشايخي الكرام الذين تلمذت على أيديهم والتقطت ثمار تحقيقاتهم وجنيت فوائد إفاداتهم وبلغت ما بلغت من الطافهم وبركاتهم ، وهم أطواد أعلام وفطاحلة عظام » إلى ان قال « ففي الاصول والفقه طريقتي على طريقتهم ومسلكي من مسلكهم وانا على دينهم ووتيرتهم » .

وقد خرج للمؤلف كتابه الثالث « منهاج الشيعة » وهو رسالة عملية ضمنها فتاواه و أراءه الفقهية ، نشرها لينتفع بها مقلدوه ، ويقع في جزئين الجزء الاول في العبادات ولم أعثر على الجزء الثاني عند اعداد هذه الترجمة ، وطبع الجزء الاول منه في سنة ١٣٧٧ هـ وتوافق سنة ١٩٥٨ م . وكان المؤلف قبل طبع هذا الكتاب يعتمد في ايصال فتاواه الى مقلديه على ما كان يكتبها من حواشي وهوامش على رسالة والده التي كانت قد طبعت طباعة حجرية قديمة ، وقد ظل رحمه الله يستخدم رسالة والده بعد وفاته مده تقرب من ثلاث عشرة سنة ، وكانت مقاليد المرجعية قد انتقلت اليه خلال هذه المدة في الاحساء والكويت والبحرين وسوق الشيوخ واذربيجان ومشهد وغيرها من البلاد العربية والايرانية ، وهذا ان دل على شيء فانما يدل على شدة تواضعه ووفائه لأبيه ورغبته في

احياء ذكره بعد وفاته . وقد تطرق المؤلف في مقدمة رسالته هذه الى ما يقال في شأن وجوب تقليد الاعلم ، فنفاه بل جوز تقليد المفضول مع وجود الفاضل لعموم ما ورد في توقيع الامام الحجة عليه السلام « وأما الحوادث الواقعة فارجعوا فيها الى رواة حديثنا فانهم حجتي عليكم وانا حجة الله عليهم » وغير ذلك من الآيات والروايات ، ولعدم وجود الفاضل أو معرفته في جميع العلوم الشرعية ، ومما قال رحمه الله في هذا الشأن « لو جمعت علماء الوقت في كل وقت واستخبرت أحوالهم رأيتهم مختلفين في الفضل في علم واحد بل في مسألة واحدة مثلاً مبحث الامر في علم الاصول كله مما يحتاج اليه المجتهدون ، فمنهم أفضل في كونه للوجوب أو للندب أو غير ذلك ومفضول في دلالته على الفور أو عدمه وآخر أفضل منهما في دلالته على التكرار أو عدمه » الى أن قال « والحاصل الفاضل في تحصيل الدليل وفي تحصيل المدلول وفي كيفية الاستعمال والاحتراز والاحتياط وبذل الجهد وأمثال ذلك مما يكون منشأ للفضل معرفته على الحقيقة في غير المعصومين أو من غير المعصومين لا تكاد توجد » . وهكذا يذهب المؤلف رحمه الله في نقد القول بوجوب تقليد الاعلم الى غايته مستدلاً عليه بما لا مزيد فيه من الكتاب والسنة والاجماع والعقل ، ويفيض في ذلك فيضاً فيه شفاء للقلوب التي في الصدور .

ثم خرج للمؤلف كتابه الرابع « الكلمات المحكمات » وهو مؤلف جمعت فيه عشر رسائل في مواضيع شتى كتبها اجابة على مسائل وردت اليه من جماعة من العلماء والمثقفين في الاحساء والقطيف والبحرين والكويت وغيرها ، وقد طبعت الطبعة الاولى من هذا الكتاب في سنة ١٣٧٨ هـ . وتوافق سنة ١٩٥٩ م . ثم نفدت فطبعت الطبعة الثانية في الكويت ، ونسخ هذه الطبعة هي المتداولة في الوقت الحاضر ، ويجمع هذا الكتاب بين دفتيه مواضيع شتى في العلوم الشرعية ، من فقة وأصول وفلسفة وحكمة وعقائد وحديث وتفسير ، وقد نحى المؤلف في تفسير الآيات والروايات نحو الباطن والتأويل الى جانب تفسير المعنى الظاهر منها مع الاشارة الى جمال المبنى وخفايا المعنى . وقد جاءت الرسائل المنشورة في هذا الكتاب على النسق الاتي بيانه .

١ ـ **الرسالة الاولى** : في دليل حرمة بعض الحيوانات وحلية بعضها الآخر ، كتبها سنة ١٣٧٥ هـ . جواباً لمسائل وردت اليه من البحرين .

٢ ـ **الرسالة الثانية** : في شرح قول الامام « وفيك انطوى العالم الاكبر » كتبها سنة ١٣٧٠ هـ . جواباً لسؤال الحاج ياسين بن الحاج عبد الله الرمضان .

٣ ـ **الرسالة الثالثة** : في تفسير قوله تعالى « هو أعلم بكم إذ أنشأكم من الارض وإذ أنتم أجنة في بطون امهاتكم فلا تزكوا أنفسكم هو أعلم بمن أتقى » كتبها سنة ١٣٧١ هـ . جواباً لسؤال الحاج ياسين الرمضان أيضاً .

٤ ـ **الرسالة الرابعة** : في تفسير قوله تعالى « يسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً » كتبها سنة ١٣٧٤ هـ . جواباً لسؤال ورد اليه من الفاضل الحاج يوسف أبو علي . وقد أفاض المؤلف في هذه الرسالة في معاني الروح وأنواعها وكيفية تعلقها في الجسد ، وهو من البحوث الفلسفية النادرة .

٥ ـ **الرسالة الخامسة** : في تفسير وتأويل أربع آيات ، أولاها قوله تعالى « فقلنا اضرب بعصاك الحجر فانفجرت منه اثنتى عشرة عيناً قد علم كل أناس مشربهم » وثانيها قوله تعالى حكاية عن عيسى عليه السلام « تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك » وثالثها قوله تعالى في آية النور « الله نور السموات والارض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح » الى آخر الآية ، ورابعها قوله تعالى «فكان من ربه قاب قوسين أو أدنى» . وقد كتبها سنة ١٣٦٩ هـ . جواباً على مسائل وردت اليه من الخطيب ملا مكي بن الحاج قاسم بن الشيخ احمد بن الشيخ حسن الجارودي الخطي ، وهي جوابات نفيسة نحى فيها منحى فلسفياً فريداً مقتبساً من حكمة أهل البيت عليهم السلام .

٦ ـ **الرسالة السادسة** : في معنى ما ورد في الدعاء « اللهم إن الصادق الامين قال انك قلت ما ترددت في شيء أنا فاعله كترددي في قبض روح عبدي المؤمن يكره الموت وأكره مساءته » ما سند الدعآء ؟ وما معنى هذا التردد ؟ إذ حمله على الظاهر محال ، وما معنى العبد الذي اضافه الله اليه ووصفه بالايمان يكره الموت ؟ وأخيراً ما النكتة في اقحام تعجيل الفرج بين الصلاة على محمد وأله وكراهة المساءة ؟ كتبها سنة ١٣٥٨ هـ . جواباً لمسائل ألقاها اليه الشيخ فرج بن الشيخ حسن القطيفي . وتتضمن هذه الرسالة تحقيقات رائعة لم يسبقه اليها أحد من العلماء .

٧ ـ **الرسالة السابعة** : في سر الترديد بني الموت النبي وقتله في قوله تعالى « أفئن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم » وهو العلي العليم بموته ، ومعنى عبادة الجن في قوله تعالى « وما خلقت الجن والانس إلا ليعبدون » وهل فوائد العبادة دنيوية أو ينوية وأخروية معاً ؟ وما معنى صدور الذنب من النبي صلى الله عليه وآله في قوله « إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر » ؟ وهل حق ما يقال من أن الارض كروية وينتج من دورانها حول الشمس الفصول الاربعة والسنون ؟ ثم لماذا لا تكون أعمار المتأخرين كأعمار الاقدمين كشعيب مثلاً ؟ وقد كتب هذه الرسالة سنة ١٣٧١ هـ . جواباً على مسائل جاءت اليه من أحد فضلاء البحرين .

٨ ـ **الرسالة الثامنة** : في قدم القرآن أو حدوثه ، وحكم دخول الفتيان المدارس العصرية ، وحكم الصور المرسومة للحسين عليه السلام وتعليقها في الحسينيات وغيرها وبيعها وتداولها ، وحكم ما يقوم به الناس من إقامة التشبيهات في محرم ، ثم ماهي الارادة وممن تصدر ؟ أمن الله أم من العبد ؟ وهي رسالة كتبها سنة ١٣٧٠ هـ . مجيباً بها أسئلة وردت اليه من الحاج عبد المحسن بن الحاج عبد الوهاب القطان من الاحساء .

٩ ـ **الرسالة التاسعة** : في معنى قوله تعالى « حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى » وفي معنى قوله تعالى « مرج البحرين يلتقيان بينهما برزخ لا يبغيان » ولماذا سمي عيسى عليه السلام بالمسيح ، وما معنى قوله تعالى « وترى الارض هامدة فاذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج » وتفسير قوله تعالى « الرحمن علم القرآن خلق الانسان » لماذا قدم ذكر العلم على الخلق ؟ كتبها سنة ١٣٧٦ هـ . جواباً على مسائل وردت اليه من الخطيب ملا علي بن الشيخ ابراهيم الاسماعيل .

١٠ ـ **الرسالة العاشرة** : في الجواب على عشر مسائل فقهية متفرقة وردت اليه من السائل السابق ذكره . وقد كتبها سنة ١٣٧١ هـ . وهي آخر رسالة تضمنها كتابه « الكلمات المحكمات » .

وقد خرج للمؤلف كتابه الخامس « خير المنهج الى مناسك الحج » وهو كتاب فقهي يتضمن فتاواه وآراءه في أحكام الحج والعمرة والمأثور من زيارة النبي صلى الله عليه وآله وأئمة البقيع عليهم السلام في المدينة المنورة وكذلك المأثور من الادعية في الحج والعمرة .

وقد صنف هذا الكتاب سنة ١٣٨١ هـ . وطبع في تبريز ، ولم يتضمن الكتاب تاريخ النشر . ثم ان المؤلف اختصر هذا الكتاب واقتصر فيه على أهم الاعمال والمناسك والزيارات والدعوات وجعله في مؤلف سماه « منتخب خير المنهج الى مناسك الحج » وقد طبع هذا المنتخب في الكويت سنة ١٣٨٧ هـ . وتوافق سنة ١٩٧٧ م . أي بعد وفاته بعشر سنين ، وكان أخوه العلامة الحاج ميرزا حسن الحائري قد أجاز لمقلديه العمل به واعتمد ما جآء فيه من أحكام . وهذا الكتاب هو آخر ما نشر للمؤلف رحمه الله تعالى .

وللمؤلف مؤلفات أخرى لم تنشر ، بعضها موجود وبعضها مفقود ، وفي مؤلفاته المنشورة إشارة الى بعض مالم ينشر منها ، مثل ما أشار اليه في كتابه « عقيدة الشيعة » من أن لديه رسالة مفصلة في الغيبة جاء فيها على ذكر مفصل لغيبة الامام الصغرى والكبرى وأرخ فيه لنوابه الاربعة ، فقد قال في الفصل الخامس من مبحث الامامة من « عقيدة الشيعة » في معرض كلامه عن النواب الاربعة « هذا مختصر الكلام ، أما تفصيل أحوال السفراء المذكورين ومدة أعمارهم ومدة أيام نيابتهم فيطلب من رسالتنا الكبرى » كما جآءت إشارات كثيرة في إجازات شيوخه إياه بانه رحمه الله كان قد قدم اليهم تحقيقات من تصنيفه في الفقه والاصول تدل على قدرته في الاستدلال ورد الفروع الى الاصول ، هذا الى جانب تدويناته الكثيرة لافادات وتقريرات شيوخه في الفقه والاصول والحكمة عندما كان يحضر لديهم دروس الخارج .

ويمكن لمن يقرأ للمؤلف رحمه الله ان يتبين في كتاباته الخصائص التالية :

١ ـ الوضوح في التعبير وتبيين الفكرة على غموضها بأقل العبارات وأقصر الجمل ، مع الابتعاد عن التعقيد المنفر والتكرير الممل واجتناب الغريب الوحشي والحوشي المبتذل من الكلام . وما تركه لنا من أثر على قلته كاف في الدلالة على أنه رحمه الله كان ذا موهبة أدبية يندر وجودها في كثير من فقهاء عصره وعلماء زمانه .

٢ ـ سعة الاطلاع . فقد كان رحمه الله واسع الاطلاع في مجالات تخصصه غزير العلم خبيراً بالتفريعات التي ترد على المسألة الواحدة في الموضوع الواحد ، فكان في ذلك كمن يغرف من بحر ، كان رحمه الله يستوعب الفكرة بحثاً من جميع جوانبها ، ولا أدل على ذلك مما جاء في نقده السالف ذكره لاخطاء السيد محسن الامين العاملي ، فقد أطنب في نقده إياه وأجاد في رده عليه ، وكان يتنقل مع القارىء فيه من فكرة الى فكرة ومن موضوع الى موضوع بأسلوب متصف بالرصانة والربط بين المواضيع والتدرج في ايراد الافكار وطرح

الحجج على الخصم وإفحامه بها ، وذلك في حوالي ثماني وثمانين صفحة يصول فيها ويجول .

٣ ـ الالتزام بالاصول العلمية في المناقشة ، فقد كان رحمه الله ملتزماً أشد الالتزام بالاصول العلمية في مناقشاته ، موضوعياً لا يجرح خصمه ولا يتهجم عليه ولا يرميه بالتهم ولاينابزه بالالقاب ، وانما يدعو الى ما يذهب اليه بالحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتي هي أحسن . لقد كان رحمه الله عفيفاً في كتاباته رقيقاً ليناً في غير مداهنة ولارياء مستقيماً دمثاً لا ينفعل ولاينساق وراء العواطف ، وذلك خلافاً لدأب بعضهم من كتاب عصره ومؤلفي زمانه .

(٦)

انجازاتــه في أسفــاره

واذا كان المؤلـف رحمــه الله يتـصف بالاقــلال في مجال تصنيف الكتب للاسبــاب المـذكـورة آنفـا ، فانه كان مكثراً في مجال الخطب والمواعظ الدينية المنبرية ، وكانت مجالسه تعـد مدارس متنقلة تثنى له الـوسـادة فيهـا للكـلام ، ولـو قدر له تسجيـل خطبه ومواعظه وأحــاديثه في المجـالس لامكن ان يعـد من ذلـك مؤلفـات كثـيرة مفيـدة في شتى العلوم والفنـون ، بيـد أن ذلـك لم يكن متـوفـراً في زمـانـه فضـاعت خطبـه ومـا كان يحدث به في المجـالس ، وهـذا مما يؤسف له أشـد الاسف . ولقد كان رحمه الله خطيباً موهوباً بارعاً في التأثير على سامعيه ماهراً في ايصال المعارف والمواعظ الى عقول الناس وقلوبهم . ولقد كان من دأبـه رحمـه الله ان يقـدم لخطبتـه بآية من الكتاب الكريم مبيناً غوامضها وأسباب نزولها مشيراً الى تأويلها شارحاً معناها الظاهر والباطن وما تتضمن من مواعظ وأوامر ونواهي فيها شفاء للقلوب التي في الصدور . وقد كان من دأبه الاطناب في الخطبة والاطالة في الموعظة دون امـلال في ذلـك ولا إسفـاف في تلك ، ولم يكن من دأبـه الـترديـد الممقوت للكلام أو التكـرار المحجـوج للمقـال . ولقـد سمعتـه خطيباً في مناسبات دينية في الكويت والاحساء يصوب ويصعد في تفسير آية واحدة على مدى بضعة أيام لا يتجاوز الى غيرها حتى تنتهي المنـاسبـة التي خطب من أجلهـا . وكان ذلك مثاراً لإعجاب الناس به وبعلمه الواسع وفنه البـاهـر في امتـلاك الاسـماع والبصـائـر والابصار ، فكانت هذه الخطب والمجالس سبباً في التصـاق جماعـة من أصحـابه به وذهابهم في محبته الى أقصى الحدود واعتبارهم اياه الاعلم والافضل ، وربما تعصب له بعضهم تعصباً يخرج به عن الحدود الشرعية في وجوب اجلال العلماء وتـوقـيرهم وتفضيلهم على من سواهم ، وكان ما يلقاه من هذا الاجلال اللامحدود سببـاً في اشتـداد خصـومة الخصماء له وذهابهم في الانكار عليه ومعارضتهم إياه بما لا يقرهم عليـه الشـرع الحنيف ولا يجيـزه لهم العقل المستنير ولا يرتضيه منهم المنطق السليم ، فكان الناس في ذلك منه بين غال وقال .

وإذا رام امرؤ ان يتتبع جلائل أعمال المترجم له خلال العقود الاربعة التالية ، أي الاعوام الواقعة بين سنة ١٣٣٥ هـ ، وهي السنة التي بدأ فيها سفراته فابتعد بها عن الحوزات العلمية في النجف وكربلاء وبين سنة ١٣٧٥ هـ . وهي السنة التي بدأت الشيخوخة تظهر عليه فيضمر معين عطائه ، نقول إذا رام امرؤ ان يفعل ذلك فانه يحصي له كثيراً منها لا تزال تحمل ذكره وتشير الى اسمه وسوف تظل كذلك الى ماشاء الله . ويمكن إجمال هذه الاعمال في أربع مجاميع رئيسية نذكرها على الوجه التالي بيانه .

١ ـ المحافظة على مدرسة الاحسائي . فقد حافظ رحمه الله بجهده على بقاء مدرسة الشيخ أحمد الاحسائي في المنهج الفلسفي العقائدي المعروف باسمه حية تنبض بالحركة والنشاط ، ولقد اجمع كل المطلعين ان لولا المؤلف لكانت هذه المدرسة أثراً بعد عين لا وجود لها الا مدفونة في بطون الكتب وطوامير العلماء ، فبفصل المؤلف فقط وبسبب سفراته وتنقلاته الكثيرة المتكررة وخطبه ومجالس حديثه الممتع حفظ الله نهج الشيخ أحمد الاحسائي الفلسفي العقائدي من الانقراض وأبقاه حياً في قلوب وعقول عصابة من المؤمنين منتشرين في أصقاع من الارض مثل الكويت والاحساء والبحرين والبصرة وسوق الشيوخ وتبريز ومشهد وغيرها من البلدان .

٢ ـ إعداد العلماء والعارفين . فقد حاول رحمه الله ان يهيىء نواة صالحة من الطلبة والعلماء العارفين السائرين على خطى شيوخه في النهج الفلسفي العقائدي . ومهما كان نجاحه في هذا الشأن ، فقد استطاع المؤلف ان يجمع من حوله عدداً من ذوي الاخلاص والنية الصادقة تتلمذوا على يديه في الاحساء والكويت ، ولم يقيض الا لقليل منهم الوصول الى درجة الاجتهاد ، ونذكر من طلبته في الكويت الشيخ ابراهيم الاسماعيل البصير والشيخ حسين الصحاف وملا علي موسى النجادة والشيخ حسين الفيلي رحمهم الله ، ونذكر من تلاميذه في الاحساء الشيخ محمد البقشي والشيخ عبد الله الوصبيعي والشيخ احمد أبو علي والشيخ كاظم الصحاف والشيخ علي بن شبيث والعلامة الشيخ محمد الهاجري والشيخ عبد الوهاب الغريري وغيرهم ، ولقد توفى بعضهم في حياته وتوفى بعضهم بعد وفاته ومازال البعض الآخر منهم حي يرزق ، رحم الله الموتى منهم وأطال في عمر الباقين . ونذكر ممن قرأوا عليه أخاه العلامة الحاج ميرزا حسن الحائري الذي آلت اليه المرجعية بعده أطال الله بقاه ، وقد حضر كاتب هذه الحروف لديه شطراً من الزمان في

الاحساء . ولقد رأيته رحمه الله في الاحساء يدرس جماعة من الطلبة يربو عددهم على العشرة ، فيحاضرهم في اللمعة الدمشقية وكتاب الرياض في الفقة وكتاب المطول في البلاغة ، كما كان يحاضر عدداً آخر منهم في شرح العرشية وشرح المشاعر في الفلسفة الإلهية . ولقد كان رحمه الله شغوفاً بدروس الحكمة حريصاً على ان يبلغ بها الغاية والنهاية ، وكان ديوانه في حي الرفعاء من الهفوف كأنه خلية نحل من كثرة المترددين عليه والقاصدين له من الطلبة على مختلف مستوياتهم ، وكان رحمه الله يرى مبر ربقائه في الاحساء مقصوراً على ايجاد نخبة صالحة من العلماء تستطيع ان تتولى زمام التوجيه من بعده ، الا انه لم يتم ، له ذلك على نحو ما أراد لأسباب ليس هذا محل ذكرها ، وهذا أمر يؤسف عليه أشد الاسف واعظمه ان لايكون قد بلغ مما أراد الغاية ولا أتى فيه على النهاية .

٣ ـ ما انجز على يديه من طباعة الكتب . فقد تم على يد المؤلف طباعة عدد من كتب قيمة في شتى العلوم بعضها من تأليفه وقد أشير اليه أنفاً ، وبعضها الاخر ليس له ، نذكر من هذا الاخير كتاب « نهج المحجة » في جزئين طبع الجزء الاول في النجف والجزء الثاني في تبريز ، وهو كتاب تاريخي يعنى باثبات الامامة والخلافة للامام أمير المؤمنين وانحصارها فيه وفي ولده من بعده ، ونذكر من الكتب المطبوعة على يديه أيضاً كتاب « شرح حياة الارواح » في أصول الدين والمذهب الخمسة وكتاب « اللمعات والمخازن » في الحكمة الالهية ، كلاهما من مؤلفات العالم الجليل الحاج ميرزا حسن كوهر ، ومنها كتاب « المصباح المنير » وكتاب « حق اليقين » كلاهما في الحكمة من تصنيفات جد المؤلف ميرزا محمد باقر الحائري ، كما أعيد على يديه طبع كتاب « إحقاق الحق » في العقيدة من تأليفات والده قدس الله تربته ، وطبع على يديه أيضاً كتاب « دليل المتحيرين » الذي يؤرخ احداثاً وقعت للشيخ أحمد الاحسائي وتلميذه الاكبر السيد كاظم الرشتي من تأليفات السيد كاظم الحسيني الرشتي وطبع في النجف ثم أعيد طبعه في غيرها ، الى غير ذلك من الرسائل والكتيبات الصغيرة .

٤ ـ ما شيد على يديه من مؤسسات البر ، فقد أقيم على يدي المؤلف وبتحريضه ومبادرته كثير من المساجد والحسينيات في كربلاء والكويت والاحساء ، والكلام يطول بذكرها جميعاً وتعدادها واحداً واحداً ، لذلك فاننا نختار منها نماذج قليلة نوردها للذكرى فقط ، فمنها ما جرى على يديه في الاحساء من تقويم قبلة جامعها الاكبر الواقع في حي

الرفعاء والمعروف بجامع الشيخ محمد أبي خمسين ، فقد كان المصلون في هذا الجامع يستقبلون القبلة منحرفين عن ضلعه الغربي ، وقد بذلت قبل المؤلف جهود كثيرة ومحاولات متعددة لاصلاح هذا العيب فلم تجد شيئاً وظل هذا الانحراف قائماً الى ان قدر الله ان يتم اصلاحه على يدي المؤلف ويتم بسبب ذلك توسيع الجامع أيضاً . ومن طريف ما يذكر في هذا الشأن ان اصلاح المسجد على يدي المؤلف أمر كان قد تنبأ به العلامة الشيخ محمد أبو خمسين ، وكان من العلماء الذين عرفوا بالكرامات والفراسة الصادقة ، فانه يحكى عنه انه قال ستظل قبلة المسجد منحرفة حتى يرد الى البلاد عالم من بلاد العجم اسمه علي يكون إصلاح القبلة على يديه ، وهي من الحكايات المشهورة المتداولة بين كبار السن في الاحساء . ومن مؤسسات البر التي قامت على يديه مسجد وحسينيه في حي الرقيات بالهفوف ، وهما الان من أكثر المحافل الدينية في الاحساء ازدحاماً وحضوراً بالمؤمنين . وفي الكويت جرى على يديه تشييد أول مئذنة في مساجد الشيعة ، وهي هذه المنارة القائمة حالياً في مسجد الصحاف ، وقد تم بناؤ ها سنة ١٣٦٨ هـ . ومن الشعراء من أرخها بقوله « أنارها حي على خير العمل » ، ومما أقيم في الكويت على يديه الحسينية المعروفة بالجعفرية والحسينية العباسية ومسجد الحاكة الذي أعيد بناؤ ه في موقع آخر وعرف بمسجد الامام الصادق . وفي كربلاء أعيد على يديه بناء الحسينية المعروفة باسم حسينية الحائري ، وقد هدمت بعد وفاته وأعيد بناؤ ها في مكان مايقع بمنتصف الطريق في الشارع الموصل بين الروضة الحسينية والروضة العباسية . هذا غيض من فيض مما شيد على يديه من مؤسسات البر والخير في مختلف البلاد ذكرنا منه نماذج قليلة للذكرى فقط كما قلنا .

(٧)

صفاته البدنية والنفسية وأحواله

ولقد عايشت المؤلف رحمه الله مدة تربو على خمس سنوات بعد وفاة والده في الخامس من رمضان من السنة ١٣٦٤ هـ . وكنت ملازماً له مثل ظله في حله وترحاله ، وكان هو قبيل الستينات من عمره الشريف ، ومع ذلك فقد كان صحيح الجسم قوي البنية لم يمرض قط ولم يعرض نفسه على طبيب ، يتدفق نشاطاً وحيوية يعز وجودها في كثير من شباب عصره فضلاً عن كهوله وشيوخه . كان ربعة بطيناً عريض الكتفين أبيض مشرباً بحمرة قليلاً غائر العينين غليظ الحاجبين معقوديهما فيما بين عينيه عريض الناصية ضخم الجمجمة كثيف اللحية ، وكان يسودها فلما توفى أبوه أطلقها من غير صبغ فبدت بيضاء ليس فيها شعره سوداء ، وكان ذلك يزيده هيبة ووقاراً ، وكان رحمه الله وضيئاً مهيباً حيياً متواضعاً يقف لكل قادم عليه في مجلسه ، واذا مشى انحنى قليلاً الى الامام ، وكان قصير الخطى في مشيه سريعها ناظراً قدامه غير بعيد من موطىء قدميه ، وكان دأبه رحمه الله إزاحة الاذى عن طريقه من حجر وغيره ، وكان يذكر الله في قيامه وقعوده ومشيه ، قليل الكلام كثير الصمت شديد الانصات لمن يخاطبه ، واذا سئل اطنب في الجواب وذكر الفروع والاصول فاخذ بالالباب واستولى على أزمة القلوب لعذوبة حديثه وسعة علمه ، وكان لا ينطق في أحاديثه الا رشادية ومحاضراته بغير الفصحى الا قليلاً وحيث لا مفر له من العامية .

وكان رحمه الله اذا قضى بين خصمين حثهما على المصالحة وذكرهما فضل الصلح وأبان أنه أحوط للمرء في دينه وخير له في دنياه ، فاذا تصالحا على شيء قضى لهما بما تصالحا عليه ، والا أعانهما على الصلح من حضر مجلسه من أصحاب الخير والفضل ، وما رأيته يقضي بالبينة واليمين الشرعيتين الا في حالات الخصومة على أموال الموتى ، وما كان ذلك منه كذلك الا ترفقاً منه بالمتخاصمين كراهة أن يأثموا اذا نبذوا ماقضى به وردوا حكمه ، ففي ذلك نبذ لحكم الامام عليه السلام ورد لقضائه وهو من الكبائر المهلكة .

ولقد كان رحمه الله عابداً ذاكراً ، يحافظ على مواعيد الفرائض والنوافل ويكثر من قراءة القرآن والاوراد والاذكار والادعية ، وكان يجري في ذلك على نسق معروف يتكرر كل

يوم . وخلال الفترة التي عايشته فيها لم أذكر انه قد تخلف قط ، ظاعناً كان أم قاطناً ، عن أداء الفرائض والنوافل اليومية في مواقيتها المعلومة ، وما انقطع عن صلاة الليل في حضر أو سفر أو مرض ، فلقد رأيته يصليها على ظهر الراحلة في القطار جالساً ، وعندما أصيب بالازمة القلبية الاولى كان ذلك في الثلث الاخير من الليل ، وقد منعه الطبيب من الحركة والكلام ، فرأيته يصليها عند ذلك مضطجعاً مومئاً برأسه الى جهة القبلة ، وهكذا تكون عبادة المؤمنين المخلصين .

عاش المؤلف رحمه الله فقيراً معظم حياته الا شطراً من أخريات أيامه ، كان يأكل القليل ويفترش البسيط ويرتدي الضئيل ، وكان يحب مجالسة الفقراء ويأنس بهم ويألفهم أشد الالفة وأحسن الأنس ، وكان من دأبه في الاحساء أن يدعو الى تناول العشاء معه رجلاً أو -كثر من فقراء أصحابه يسامرهم ويتجاذب معهم أطراف الحديث . وكان لايغشى مجالس ذوي النفوذ وأصحاب السلطان الا لماماً في المناسبات التي لا مناص له فيها عن غشيانهم ، فاذا جاءهم في نواديهم استقبلوه بالتعظيم والاجلال ، وكان أمراء الكويت يوقرونه ويجلونه لما كان له من تاريخ مجيد ومواقف حميدة فيما تعرضت له الكويت من أزمات ، مثل غزو الاخوان للجهراء بقيادة الدويش وبناء سور المدينة في السنة ١٩٢٠ م ، فقد ساهم المؤلف مع الشعب والحكومة في الدفاع عن المدينة وبناء السور ، إذ أخذ على عاتقه تعبئة جماعته للمشاركة في بناء السور واعدادهم للدفاع عن البلاد . ولقد كان أمير البلاد آنذاك الشيخ سالم الصباح رحمه الله يترجل عن ظهر جواده كلما صادف المؤلف في الطريق ويصر به مقبلاً عليه إجلالاً له وتعظيماً لمكانته وتقديراً لمواقفه الوطنية .

قلنا صرم المؤلف أيامه فقيراً سوى الايام الاخيرة من حياته ، فقد أصاب قبيل السبعينات من عمره ثروة متواضعة من عقارات كان قد اشتراها رخيصة فغلت أثمانها وارتفعت أضعافاً كثيرة في مدة قصيرة نسبياً ، فأفاد من ذلك غناءاً أعانه على امتلاك عقارات ودارين للسكن في كربلاء ، وقبل ذلك لم يسكن في دار من ملكه لا في كربلاء ولا في الاحساء ولا في الكويت ، ففي كربلاء كان يسكن في دار أبيه ثم انتقلت ملكيتها الى ورثته بعد وفاته وصار المؤلف يشارك إخوته في ملكيتها ، وفي الكويت كان المؤلف يسكن داراً موقوفه على امام مسجد الصحاف ، فلما هدمت لاغراض التنظيم البلدي صار ينتقل من دار الى اخرى من املاك الحكومة ، حتى خصصت له دار من بيوت ذوي الدخل

المحدود في منطقة الرميثية ، ثم عاجله الموت فلم يتمكن من سكناها فسكنها الصغار من أولاده .

وقد تزوج المؤلف رحمه الله خمساً طلق منهن اثنتين وماتت إحداهن في حياته ، ولما توفى رحمه الله ترك خلفه ارملتين ، ورزق من الذرية اربعة عشر ولداً بين ذكر وأنثى ، توفى في حياته منهم بنتان وابن واحد كانوا جميعاً في سن الطفولة ، وما زال الباقون ، وهم احد عشر ولداً بين ذكر وانثى احياءاً يرزقون ، أطال الله في أعمارهم وجعلهم ذكراً حسناً لابيهم ، فالمرء يحفظ في ولده .

(٨)

وفاتـه وتشييعـه ودفنـه

وفي أخـر جمعـة من رمضـان خطب النـاس بين الظهـرين ، كما هودأبه في كل جمعة يتيمـة ، وذكـر في هذه الخطبـة كلاماً فيه حث على البر والتقوى ومساعدة الفقراء واليتامى وذوي الحـاجـة ، وحض على زكـاة الفطـرة واخراجها الى مستحقيها في موعدها ، وجرى على لسـانـه في تلك الخطبـة حديث من ينعى نفسـه الى الناس ، ومما قال فيها « اني قد لا أكـون بينكم يوم العيـد فالله الله في فقرائكم وأصحاب الفاقة من أرحامكم ويتامى موتاكم وجيرانكم وذوي قرباكم » وكانت هذه آخر خطبة له ، فقد مات بعد ذلك في أقل من عشر ساعات لاصابته بنوبة قلبية حادة وكان إذذاك في الحسينية العباسية ، فنقل الى المستشفى ولكن كانت روحه قد فاضت في الطريق رحمه الله ورضي عنه وأرضاه . وكان له من العمر حينئذٍ أكثر من ثمانين سنة بحساب التقويم القمري وقريباً من ثمانية وسبعين عاماً بحساب التقويم الشمسي .

ولقد ساءت صحته الجسمانية في السنوات الخمس الاخيرة من عمره الشريف ، فقد ظهـرت عليـه الشيخـوخـة وأخـذ ينحل جسمه ويضعف بصره ويثقل لسانه وسمعه ويرق صوته حتى كان في أيامه الاخيرة يتوكأ على من يجاوره من أصحابه في مشيه وقعوده ، وكاد لا يسمع صوته من فرط مابه من ضعف ، الا انه لم يلزم الفراش ولم تتأثر مشاعره وأحاسيسه الباطنية بالشيخوخة . وقد مات فجأة لاصابته بجلطة قلبية ، وكان قد أصيب بها قبل ذلك وعـولـج منهـا في المستشفى الامـيـري حيث ظل مستجماً فيه مدة تربوعلى شهر ، ثم خرج صحيحاً قوياً معافى ، وكان ذلك في أواخر ديسمبر من السنة ١٩٦٤ م . ثم حج في العام الـذي يليـه فعـاد من الديار المقدسة صحيحاً لم يصيبه سوء ، وكان ذلك من أعجب الامور فقـد كان وقتـذاك في سن السبع والسبعين سنة ، ولكن قوة الايمان ومضاء العزيمة ساعداه على أن يتحمل مشاق المناسك ويصابر على صعوبات الطريق .

ولقـد كان يوم وفـاة المؤلف رحمـه الله من الايـام المشهـودة في الكـويت ، فقد خيم الحـزن فيـه على كثـير من النـاس ، بكت لفقـده الـرجـال ونـاحت على فراقـه النسـاء

والصبيان ، وبقي جثمانه في الجعفرية مسجي ليومين انتظاراً لقدوم أخيه العلامة الحاج مير زا حسن الحائري من إيران للصلاة عليه والاشتراك في تشييعه وتجهيزه ، فلما تأخر أخوه وخيف عليه من الفساد صلى عليه تلميذه الشيخ حسين الفيلي رحمه الله ونقل جثمانه في اليوم الثالث إلى كربلاء في تشييع مهيب نقل أخباره عدد من وكالات الانباء وأذيعت من إذاعة الكويت ولندن وغيرها ، وخرجت لتشييعه مئات السيارات من الجعفرية الى مركز صفوان الحدودي ، فتعطل لذلك في هذا اليوم نظام المرور في الشوارع التي كان يمر بها جثمانه الطاهر ، وفي مراكز الحدود فتحت للمشيعين الابواب على مصاريعها فلم تجر مراقبة وتدقيق في الجوازات ، ودفن رحمه الله في كربلاء في العقار الذي كان يملكه وكان يقع شمال شرق الروضة الحسينية المشرفة ملاصقاً لحسينية الحائري مما يلي زاويتها الشمالية الغربية . فلما هدم هذا العقار للتنظيمات البلدية في سنة ١٤٠٠ هـ . نقل جثمانه الطاهر إلى مثواه في مقبرة الاسرة الواقعة في باب الطاق غير بعيد من الروضة الحسينية ، فدفن رحمه الله هناك الى جوار جده وأبيه وأمه وأخيه العلامة الطبيب الماهر مير زا محمد باقر الحائري ، الذي كان رفيق دربه في رحلاته وأمين سره في خلواته ، وقد كان مير زا محمد باقر هذا أول من لبى نداء ربه من أسرة والد المؤلف رحمه الله ودفن هناك . وفي سنة ١٤٠٣ هـ ، نقل الشيخ رياض طاهر البستاني عظامه الزكية من مقبرة الاسرة فدفنها في حسينية الحائري في موقعها الجديد بين الروضة الحسينية المشرفة والروضة العباسية المكرمة ، وكان ذلك من الشيخ رياض لما كان يعرف من رغبة المؤلف في أن يكون مثواه قريباً من مكان تجمع زوار الحسين وحيث تقام المآتم الحسينية فيه .

وقد أقيمت للمؤلف رحمه الله مآتم تأبينية كثيرة في مدى أربعين يوماً بعد وفاته وفي ذكرى مرور سنة على وفاته في الكويت والاحساء والبحرين والعراق ، والقيت فيها العديد من كلمات النثر وقصائد القريض والنبط . وليس هنا مقام ذكرها ، ولكن أجد من المناسب أن أختم ترجمة حياة المؤلف بأبيات من الشعر الجميل تتضمن تاريخ وفاته بحساب الحروف الابجدية ، نظمها الشاعر الاستاذ عبد العظيم الربيعي ، وهي هذه الابيات : -

هـذا على قد دعـاه الـى جـواره الـلـه قلبـاه

وجنـة الـفـردوس قـد فتحـت أبـوابهـا شوقـاً للقـيـاه

فابشـر لـك الخيـر بمـا نلـت من فتـح مبـيـن تتـوخـاه

واشـكـر إلهـا « لـك » يـا عبـده أرخـتـه « ليـغـفـر الـلـه »

(ليغفر لك الله ١٣٨٦)

وآخر دعوانا ان الحمد الله رب العالمين .

صالح باقر السليمي
الكويت في ٢١/ ٥/ ١٩٨٦ م

تعريف بشيوخ المؤلف ومن يروي عنهم

* **أحمد بن ابراهيم بن محمد بن محمد بن الحسن بن أبي المحاسن بن زهرة الحلبي** ، ولد في رجب سنة ٧١٧ هـ ، وتوفي في صفر سنة ٧٩٥ هـ في حلب « هذا في الدرر الكامنة » وأما في البحار انه ولد سنة ٧١٨ وتوفي بحلب في ذي الحجة سنة ٧٤٩ هـ ، ولعله أراد سنة ٧٩٤ هـ ، ودفن في مقابر الصالحين عند مقابر الخليل (ع) .
* **الشيخ أحمد بن زين الدين بن ابراهيم بن صقر بن داغر الاحسائي المطيرفي** ، ولد في قرية المطير في في الاحساء سنة ١١٦٦ وتوفي في هدية قرب المدينة المنورة سنة ١٢٤١ هـ ، ودفن بالبقيع وله مؤلفات عديدة تنوف على المائة مؤلف في مختلف العلوم وكلها مطبوعة الا القليل ومن مصنفاته « شرح الزيارة الجامعة الكبيرة » .
* **الشيخ جعفر بن الشيخ خضر بن يحيى الجناجي** ، له كتاب مشهور بكشف الغطاء وهو كتاب كبير في الطهارة شرحاً على طهارة الشرائع ، توفي في النجف يوم الاربعاء ٢٢ / رجب / ١٢٢٧ هـ .
* **الشيخ جعفر بن محمد بن موسى بن قولويه القمي** ، له تصانيف منها « جامع الزيارات » المتوفى سنة ٣٦٨ هـ .
* **الميرزا حسن بن علي الشهير بـ « كوهر »** وهو من تلاميذ الشيخ أحمد الاحسائي وله مصنفات كثيرة منها « شرح حياة الارواح » توفي سنة ١٢٦٦هـ .
* **حسن بن محمد بن حسن الطوسي** ، المتوفى في سنة ٥١٥ هـ .
* **العلامة الحسن بن يوسف المطهر** ، (٦٤٨ - ٧٧٦) - (١٢٥٠ - ١٣٢٥ م) المعروف بالعلامة أشهر كتبه النكت البديعة في تحرير الذريعة .
* **حسين بن عبد الصمد العاملي الحارثي** ، والد الشيخ البهائي ، ولد أول محرم سنة ٨١٨ هـ ، وتوفي ٨ ربيع الاول سنة ٩٨٤ م وله تصانيف في شتى العلوم منها دراية الحديث .
* **الشيخ أبو عبد الله الحسين بن عبيد الله الغضائري** ، المتوفى سنة ٤١١ هـ .
* **زين الدين بن علي بن أحمد بن محمد بن جمال الدين بن تقي بن صالح بن أشرف الجبعي العاملي الشامي** ، « المعروف بالشهيد الثاني » صاحب الروضة البهية في شرح اللمعة الدمشقية للشهيد الاول ، واستشهد في ربيع الاول ٩٦٥ هـ بأرض روم .
* **سالار أو سلار بن عبد العزيز الديلمي** ، له كتاب المراسم العلوية والاحكام النبوية ، توفي في ٦ رمضان سنة ٤٦٣ هـ .
* **الشيخ زين الدين أبو الحسن على بن طرادة (المطار بادي)** ، المتوفى يوم الجمعة أول رجب سنة ٧٦٢ هـ .
* **الشيخ أبي الحسن على بن الحسين بن بابوية القمي** ، المشتهر بالشيخ الصدوق ، صاحب كتاب لا يحضره الفقيه ، المتوفى سنة ٣٨١ هـ .

* **السيد كاظم الرشتي الحسيني** ، هو تلميذ الشيخ أحمد الاحسائي وله مصنفات كثيرة منها « شرح الخطبة الطتنجية » و « شرح آية الكرسي » وتوفى سنة **١٢٥٩** هـ .

* **الشيخ المرتضى « علم الهدى » هو أبو القاسم علي بن السيد النقيب بن موسى بن جعفر الصادق** (ع) ، المتوفى سنة **٤٣٦** هـ ، له كتاب « الشافي » في الامامه والذريعة في الاصول وكتاب « غرر الفوائد ودرر القلائد » ، في الآدب والنحو والصرف .

* **السيد على بن السيد محمد بن علي بن أبي المعالي** ، « صاحب الرياض » ولد سنة **١١٦١** هـ ، وتوفى سنة **١٢٣١** هـ .

* **محمد باقر بن محمد أكمل البهبهاني المعروف بالوحيد البهبهاني ، ولد باصفهان سنة ١١١٨ هـ أو سنة ١١١٧ هـ توفى سنة ١٢٠٨ هـ بكربلاء .**

* **الشيخ محمد باقر بن محمد تقي بن مقصود المجلسي** ، « صاحب البحار » المتوفى سنة **١١١٠** هـ .

* **الميرزا محمد باقر بن ملا محمد سليم الاسكوئي الحائري** ، وهو تلميذ الميرزا حسن الشهير بـ « كوهر » وله مصنفات كثيرة منها « حق اليقين ـ ومصباح المنير » توفى سنة **١٣٠١** هـ .

* **شيخ الطائفة الشيخ محمد بن الحسن أبي جعفر الطوسي** ، صاحب كتاب « التهذيب » والاستبصار فيما اختلف من الاخبار ، ولد سنة **٣٨٥** هـ ، توفى سنة **٤٦٠** هـ .

* **الشيخ محمد بن حسين بن عبد الصمد العاملي الحارثي المعروف بالشيخ البهائي** ، ولد سنة **٩٥٣** ومن كتبه « الجامع العباسي في الفقه » وله أيضاً بالعلوم الغريبة مثل كتاب مشرق الشمسين وغيره المتوفى سنة **١٠٣٠** هـ .

* **الميرزا موسى بن محمد باقر الحائري الاسكوئي** ، وهو تلميذ ابيه الميرزا محمد باقر الحائري ومحمد بن عيثان وغيره واشهر مصنافته كتاب « احقاق الحق » توفى سنة **١٣٦٤** هـ ، وهو أب المترجم له .

* **فخر الدين أبي طالب الشيخ محمد بن الحسن بن يوسف بن المطهر الحلى** ، الملقب « بفخر المحققين » أول مؤلف له « كتاب القواعد » وعمره ١٠ سنوات حيث اجتهد بهذا السن المتوفى سنة ٧٧١ هـ .

* **الشيخ الشهيد السعيد شمس الدين أبو عبد الله محمد بن جمال الدين بن مكي بن محمد بن حامد بن أحمد النبطي العاملي الجزيني** ، صاحب كتاب « اللمعة الدمشقية » واستشهد سنة **٧٨٦** هـ .

* **السيد تاج الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن الحسين بن معية الحسين الحلى الديباجي** ، وله تصانيف منها « كتاب في معرفة الرجال » المتوفى سنة **٧٧٦** هـ .

* **السيد محمد بن على بن أعرج الحسين العبيدلي** ، وهو يروي عن العلامة وإليه ينتسب آل أعرجي أخوال جد المؤلف « المترجم له » .

* **الشيخ محمد بن عمر بن عبد العزيز بن أبي عمر الكشي** ، صاحب كتاب الرجال المتوفى سنة **٣٦٧** هـ .

* **الشيخ شمس الدين محمد بن محمد بن داود** ، يروي عن الشيخ ضياء الدين على بن الشهيد الاول .

* **الشيخ قطب الدين محمد بن محمد الرازي** ، « مؤلف شرح الشمسية » المتوفى سنة ٧٦٦ هـ .
* **الشيخ السعيد ابى عبد الله محمد بن محمد بن النعمان بن عبد السلام بن جابر بن نعمان بن سعيد العربي العكبري البغدادي** ، الملقب « بالمفيد » ولد سنة ٣٣٦ هـ من مصنفاته « الرسالة المقنعة » المتوفى ليلة الجمعة ٣ رمضان سنة ٤١٣ هـ .
* **الشريف السيد أبو الحسن محمد بن أبي أحمد حسين بن موسى بن ابراهيم بن موسى بن جعفر الصادق (ع)** ، ولد سنة ٣٥٩ وله كتاب « نهج البلاغة » المتوفى سنة ٤٠٦ هـ .
* **مولانا السيد مهدي بن السيد مرتضى بن محمد الحسني الحسيني الطباطبائي النجفي الملقب « ببحر العلوم »** ، ولد سنة ١١٥٥ هـ ، المتوفى سنة ١٢١٢ هـ .
* **الشيخ الامام رئيس المحدثين ثقة الاسلام محمد بن يعقوب الكيني الرازي** ، صاحب كتاب « الكافي » توفى سنة ٣٢٩ هـ .
* **الشيخ سديد الدين يوسف بن علي بن المطهر الحلي** .

بقلم كمال الدين ميرزا علي الحائري .

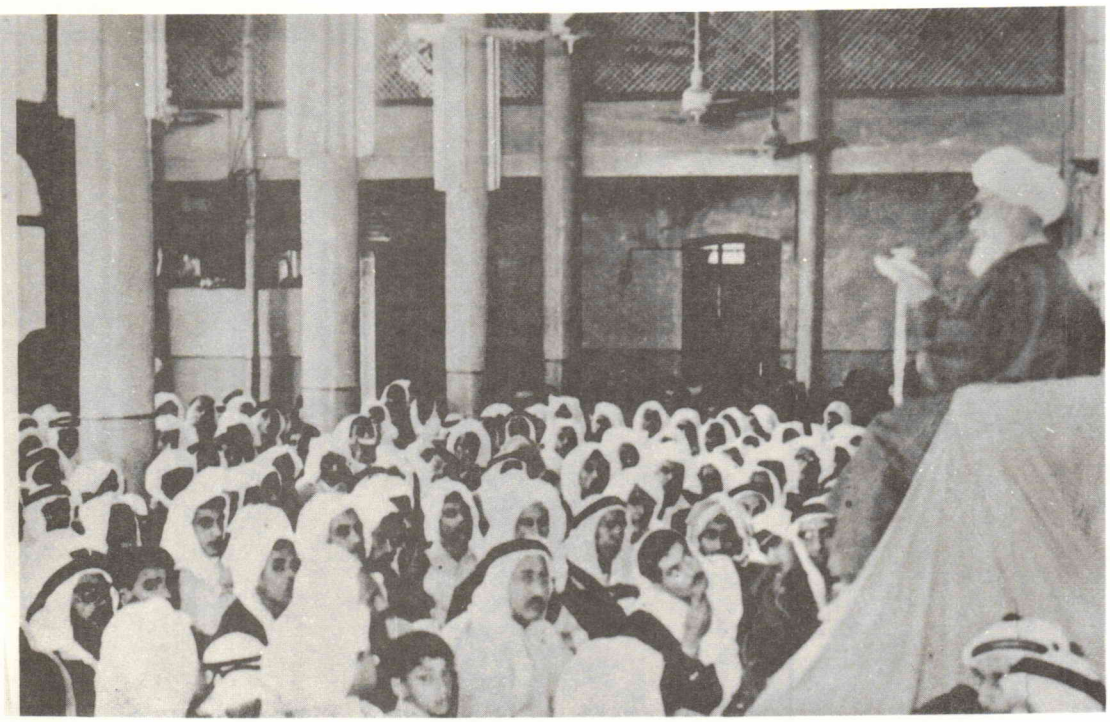

سماحة العلامه (المؤلف) وهو على منبر الحسينيه الجعفريه

آلاف المستقبلين للمؤلف في أحدى سفراته إلى إيران

جثمان سماحة العلامه « المؤلف » في الحسينيه الجعفريه

حفل التأبين الذي أقيم في الحسينيه الجعفريه